احتفالات الزار في مصر: رواية شاهد عيان

ترجمة

أحمد إبراهيم الصيفي

باحث في تاريخ وتراث العصور الوسطى
مراسل وكالة وعد الثقافية
الشرقية – جمهورية مصر العربية

Nino Ejibadze

The Zār Ceremony in Egypt
BULLETIN OF THE GEORGIAN NATIONAL ACADEMY OF SCIENCES, vol. 5, no. 2, 2011

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

نينو إيچيبادز، احتفالات الزار في مصر: رواية شاهد عيان/ ترجمة: أحمد إبراهيم الصيفي.- دورية كان التاريخية.- العدد العشرون؛ يونيو ٢٠١٢. ص ١٢٨– ١٣٤.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

حقوق الملكية الفكرية والترجمة والنشر:

- حقوق الملكية الفكرية محفوظة © للمؤلف.
- حقوق الترجمة العربية محفوظة © للأستاذ أحمد إبراهيم الصيفي.
- النقل والاستشهاد وفق الأصول العلمية والقانونية المتعارف عليها.
- غير مسموح بإعادة نشر كامل نص الترجمة العربية إلا بموافقة المترجم.
- المترجم والدورية غير مسئولان عن الآراء الواردة في النص الأصلي.

"دقة زار" أو فيما يعرف باللغة الرصينة طقوس الزار، والتي مازالت موجودة وذائعة الصيت في مصر حتي يومنا الحاضر، طقوس اعتقد البعض أنها تعالج الإنسان من العديد من الأمراض، وذلك عن طريق سلسلة كاملة من التعاويذ والتمائم والأهازيج والمديح لاسترضاء الجن إلى جانب مجموعة أخرى مماثلة من تلك الأعمال.

وكاتب هذا المقال كثيرًا ما كان يحضر احتفالات الزار وطقوسه، ويتعرف أيضًا على الأشخاص القائمين عليه وذلك أثناء إقامته في مصر في الفترة من سنة ١٩٩٦م وحتى ٢٠٠٦م، ومواد هذه المقالة تم الحصول عليها من الرواة المصريين والسودانيين ومن النصوص العديدة التي وضعها أولئك القائمون بهذه الاحتفالات والطقوس، ولقد تم الاعتماد على كلاً من الرواة وبالمثل علي بعض الدراسات في سبيل الحصول على بعض التفاصيل خصوصًا فيما يتعلق بأصول تلك الاحتفالات وانتشارها.

وجدير بالذكر؛ أن الأدب المتخصص لم يحتو على معلومات مفصلة حول هذه الطقوس والاحتفالات، وبالرغم من ذلك فإن الكُتَّاب المصريون قد رصدوا هذه الطقوس واضعين اثنين من الدراسات العلمية حول هذا الموضوع وتلك هي: دراسة (عادل العليمي: الزار وطقوس المسرح، القاهرة، ١٩٩٣م)، ودراسة (فاطمة المصري: الزار، القاهرة، ١٩٧٥م). وهذه المعلومات المتناثرة حول هذه الطقوس والتي في بعض منها كانت غير دقيقة، فإنه قد تم عرضها وتقديمها في مقالات علمية نُشرت في دوريات علمية على فترات متباعدة.

وكمظهر من مظاهر الفولكلور، فإن احتفالات الزار وطقوسه تميزت بالتنوع والاختلاف، وهذا المقال الحالي يرصد الزار في شكله وصورته في بدايات القرن الحادي والعشرين حيث كان يقام ويتم فيما يُعرف بمنطقة حدائق الاهرام hadāyiq el-ahrām في ضواحي القاهرة ، وبالمثل في بعض مناطق شمال الصعيد sa'īdi (صعيد مصر Upper Egypt).

المصطلح

يري البعض بأن كلمة الزار zār كلمة عربية مأخوذة ومستعارة من اللغة الأمهرية Amharic ومشتقة من كلمة جار Jar ، هذا وقد انتقل ذلك المصطلح وسلك طريقه من الحبشة إلى مصر والسودان. وفي نفس الوقت فإن جار Jar كان إلها رئيسيًا لهيكل الإله كوش Kush، إله السماء، والذي كان دومًا يتجلى في شكل آخر متحولاً إلى روحًا شريرة. ووفقًا للموروث والمعتقد الأثيوبي فإن هذه الروح كانت تقطن الأنهار، وقنوات المياه، وكذلك المياه الجارية، هذا إلي جانب قدرتها في جعل الإنسان مريضًا، ولا يتسنى إخراجه من الجسد سوي باستخدام التمائم والتعاويذ. وبدقة فإن تلك الطقوس صارت شكلاً من أشكال احتفالات الزار، وبداية من سنة ١٨٦٠م صارت تلك الطقوس مترسخة في مصر وذلك من خلال الجواري السودان والأحباش.

الجن والأسياد

والركن الأساسي للزار يتجسد في الاعتقاد فيما يُدعى بالجن، والأسياد، والأرواح، والعفاريت والتي هي موجودة بالفعل، وفي حالة إذا ما أثار البشر حفيظتها، وأغضبوها فإنه بمقدورها أن تقتص منهم وتعاقبهم سواء بالمرض، أو بسوء الطالع. وفي ثقافة الزار فإن وجه الاختلاف بين الجن والأسياد يتمثل في أنه في المعتقد والموروث الشعبي المصري؛ الجن هي أرواحًا شريرة ينطوي على غضبها نتائج كارثية مهلكة للإنسان، في حين كانت الأسياد أسهل انقيادًا لهم

واحتمالية أن تتوافق معهم واردة، ونتيجة لذلك يمكن أن يعالج الفرد المصاب.

أكدت لي إحدى ممارسات الزار في القاهرة وهي السيدة أم سامح Umm Samih ومذ قابلتها في سنة ٢٠٠٤م، كانت تبلغ من العمر ثلاثة وخمسون عامًا؛ وجهة النظر الشائعة والمتداولة في أن أصل جملة عدد الجن والأسياد هي أربعة وأربعون جنًا وسيد. وتذكر أيضًا أنه يمكن للجن والأسياد أن تغضب على البشر إذا ما اقترف الأخير سلوك معين: مثلاً إذا أنكر أحد الأشخاص بوجودية تلك الأرواح، أو أن يلقي شيئًا ما على الأرض في الظلام، أو يسير في مكان قذر، أو أن ينام بمفرده ..... إلخ.

ووفقًا لممارس آخر لهذه الطقوس وهو أسامة Usama والذي ذكر أن الجن يمكن أن تغضب على أي شخص إذا ما قام الأخير بضرب الجن أو نسله من غير قصد بإلقاء أي شيء في الظلام (حيث يُعتقد أن الجن يكون متمثلاً في الظلام). وبناءً على ذلك يجب على الشخص قبل القدوم على مثل هذا الفعل، أن يتعوذ دائمًا بهذه العبارات قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم bismi-l-lāhi-r-rahmāni-rahīm ، أو يقول:- أعوذ بالخبث والخبائث (أعوذ بالهوابط والهابطات) ūzu bil-hawabit wal-habitat ، وهذه النماذج عن ترديدها تؤكد ذلك، وهذه النماذج مغايرة للأدب العربي الذي لم يعتاد مثل هذه النماذج واللهجات. ولكن هذه الأشكال الأدبية عادةً ما توجد بالحوار أو الحديث وذلك عند الاستشهاد بالقرآن الكريم. لذلك فهذه الوسائل المستخدمة في كيفية تخيل الاعتقاد الشعبي المألوف سواء في الجن أو بالمثل في الدين فإنها بدقة وسائل متصلة ومرتبطة بمجموعة من الأفكار.

وتضيف السيدة أم سامح Umm Samih - السابق ذكرها- بأنها لم تكن تفضل تلك الأغنية التي كانت تبتهل استرضاءً للأسياد المسيحيين، والتي كانت تُعرف بالست الكبيرة as-sit-al-kibīra (السيدة الكبيرة نفسها كانت قرينة للقديسة مريم العذراء St.matr)، وتروي أم سامح Umm Samih في ذلك أيضًا، أن السيدة مريم ذات مرة كانت تسير بمفردها في الظلام، فشاهدت إمرأة متلفحة بالسواد من رأسها حتى أخمص قدمها، فجأة جاءت قوة كبيرة حركتها رأسًا على عقب ووكزتها ووخزتها في رأسها، وطرحتها أرضًا، وعندما عادت مريم إلى رشدها مرة أخرى، فإن وجود تلك السيدة قد تبدد ولم يعد مرئيًا، ومنذ ذلك الحين كانت الست الكبيرة as-sit-al-kibīra هي سيدتها (أي سيدة مريم وقرينتها). وتعتبر السيدة أم سامح Umm Samih تلك الأغنية من أكثر القصائد المفضلة الأن والتي تؤدى وتُغنى من أجل استرضاء واسترقاق سيدتها وقرينتها.

ويعتقد أولئك القائمون على احتفالات الزار zār وطقوسه، بأنه في عالم الأرواح يوجد هناك كهنوت، كما أن لديهم عائلات وأسرات أيضًا مثل: السلطان الأحمر as-sult ān –al-ahmar ، والست الكبيرة as-sit-al-kibīra ، وهما الزوج والزوجة وكلاهما رأسًا للكهنوت. وفي نفس الوقت فإن الصفة (الدينية) المسيحية الكاتدرائية لهذه الفكرة في العالم الإسلامي قد انتهكت ودنست وخصوصًا في مسألة الأسياد؛ فالست الكبيرة as-sit-al-kibīra كانت من أكثر الأرواح قوة من زوجها. كما أن ابنتيهما روكوس الصغيرة rukūš هي جِنه وغضبها يفضي إلى الموت. كذلك فإن لكل من الجن والأسياد أشياء وقرابين وذبائح تقدم لهم، فعلى سبيل المثال: يجب تقديم كلاً من الشموع والدجاج والديوك الحمر إلى السلطان الأحمر as-sult ān –al-ahmar.

وبين الجن، والأسياد أنفسهم يوجد تقسيمات: فهناك الأسياد البدوية Bedouin sayid (العربي al-arabi)، والروح الإثيوبية Ethiopian spirit (البصير Basir)، والصيني Chinese (الصيني as-sini)، والمسيحي Christian (دير النصاري dayir an-nasari)، وسيدة البحر (البحرية al-bahareya) وهي على شكل وهيئة السمكة وتعيش في المياه، وأبو روايح abu-rawayih والذي يطلب كمية كبيرة من العطور، والسيد الطبيب "المداوي" Doctor-sayid (الباش حكيم hakimbasa)، ولوليا Luliya أخت الروح الإثيوبية بصير Basir، وهي دومًا تبحث عن الملابس الملونة المعدة للزواج، وأخيرًا زوج من الأرواح وهما ستي وسيدي sitt wasidi أي سيدة ورجل.

ومن الجدير بالذكر؛ بأن السيدة السابق ذكرها هي نفس فاروق Faruk وزوجته، وهي نفس الملك والملكة، وكذلك هاروت وماروت Harut wa Marut وهما ملائكة ورد ذكرهما بالقرآن وهؤلاء الذين تولوا القيام بتحديد أشكال وأسماء الأسياد، وهي كالاتي:-

- القرينة al-qarina وهي الجن التي تكون في خصومه مع الأطفال المولدين حديثًا، فتقتلهم أو تأكلهم.
- أبو الجندي abu-l-gindi وذلك يذبح له خروف رمادي اللون.
- الناري an-nari المتوهج؛ وفي ذلك فإن الشخص الذي تنتابة الهواجس ينصح بعمل زارًا له وخلال الزار يمسك قطعتين من الورق ثم يحرقها.
- أمير الحاج amir-al-hagg وهو الذي يقتل الحجاج.
- باندوه banduh ويطلب من الشخص المريض أن يأكل له خصي أغنام نيئه.
- الجمال al-gamal وفي ذلك فالشخص الممسوس يجب أن يضرب نفسه بالكرباج (السوط) حتي يفقد وعيه.... إلخ.

وأسماء تلك الأسياد sayids السابق ذكرها تم الحصول عليها من الرواة المصريين والسودانيين في مناطق مختلفة في مصر، والتي في بعض منها قد تم توثيقه في الأدب المتخصص.

دورية إلكترونية. مُحكّمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

أشكال الزار

تعددت أنواع الزار وأشكاله في مصر، فهناك ثلاثة أنواع رئيسية للزار وهي: السوداني، والمصري، والصعيدي، إلي جانب نوع آخر يعرف بأبو الغيط abu git أو الغيطانية al gitaniyya . والنوعين الأخيرين فإنهما ذات أصل مصري مترسخ، وتتباين تلك الأشكال في فروق بسيطة ولكن يبقي الدافع الرئيس لتلك الأشكال وقوامها وطريقة الاحتفال بها متشابه جدًا. وفي الماضي كان هناك نوعًا رابع للزار يُعرف برانجي rangi وكان يتم مثل سابقيه.

والسمة المميزة للزار السوداني عن سابقيه تتمثل في اقترانه بالآلات الوترية الإيقاعية، حيث تعد الطنبورة هي الآلة الوحيدة في ذلك الزار، وهي عبارة عن ألة وترية شعبية، لذلك أحيانًا ما يشار للزار السوداني بزار الطنبورة Tambura zar . أما بالنسبة للزار الصعيدي فإنه مقتصرًا على النساء فقط، ولكن بعض العازفين ربما كانوا من الرجال، ولذلك يُحظر على الرجال حضور مثل هذا الزار أو عمله والقيام به لرجل.

أما زار أبو الغيط Abul-git (هناك اتفاق أنه في شمال غرب مصر)، وهو أحد أشكال الزار فهو من أحد الطقوس المصرية الخالصة وأكثرها دينية. حيث يتم فيه مخاطبة الأولياء وابتهال القصائد لهم. وفي الزار فإن هذه الأسماء المقدسة تؤدي نفس الوظيفة كأسماء للأسياد أنفسهم، وفي هذه الحالة فالقائمون علي الزار جميعهم من الرجال.

وقد تفاوتت مدة الزار، فمنه ما هو يومي فيما يُعرف باليومية yammiyya ومنه ما يستمر لمدة تتراوح من خمسة إلى سبعة أيام، ومنه المخصوص mahsus والذي يتم عمله لشخص معين، ومنه الجمعية el-gama-eyya وهو يتم عمله لعدة من الأشخاص.

الكودية وجماعة الزار

الكودية kodiya : لقب يُعرف به ذلك الشخص القائم على احتفال الزار، علاوة على ذلك فإن غالبية الكوديات kodiyas كن نساء في حين شاركهن بعض الرجال في هذا اللقب، ذلك اللقب كان بدوره يشير أيضًا إلى الشيخة sheikness أو للشيخ sheikn إشارة إلى ذلك الرجل. وهذا الشخص بدوره كان قد ورث هذه المهنة وتعود عليها بشكل طبيعي في طفولته.

وهؤلاء الكوديات غالبًا ما تفاخرن بأصلهن السوداني وأنهن ترعرعن في أسره مشبعة بتقاليد الزار والتي كانت تصبغ مهنتهم وحرفتهم بإقناع من نوع خاص. وغالبًا ما كن يدعون أنفسهم ببنات الطيب (بنات البخور banat-el-buhur) حيث يعد البخور واحد من العناصر الملازمة للزار، والكودية أيضًا هي الشخص نفسه الذي يملك اتصالاً مباشرًا مع الأسياد والجن فهي تراهم وتتحدث إليهم أيضًا.

وكان ترسيم الشخص ككودية يتم في احتفال خاص يُعرف بربط الحزام rabt-el-hizam وفي ذلك الاحتفال، فالشخص الذي يرغب في أن يصبح كودية يتوجب عليه القيام ببعض الاختبارات وأداء القصائد الغنائية ابتهالاً واسترضاءً لكافة الأسياد إلى جانب القيام بكل التفاصيل الأخرى، وعندئذ تتراءى له الأسياد في ذلك الزار.

وبعدئذ تتحرى النساء المتمرسات على ذلك إذا ما كانت تلك الأشياء قد تمت كما ينبغي أم لا، وبعد ذلك تقوم بوضع حزام خاص حول خاصرة الشخص المختبر، ومنذ تلك اللحظة فإن الشخص قد أصبح كودية. وعن طريق الكودية كانت الأرواح تطلب بعضًا من القرابين والعطايا والتي تتدرج وفقًا لحالة الأسرة المادية، فربما تكون دجاجة، أو حمامة، أو حتى جمل، وبعد أن تقوم الكودية بتحديد ميعاد الزار تتولى أسرة الشخص المريض مسئولية الإعداد للزار.

تساعد الكودية في احتفال الزار جماعة من الأفراد وهم على النحو التالي ذكرهم:

١- العروسة / الأوديا odiya: وهي المساعد الأساسي للكودية، وهي التي تحفظ عن ظهر قلب كافة القصائد الغنائية في استرضاء كافة الأرواح، وربما يُلقى على عاتقها مسئولية ذلك الاحتفال برمته، ولكن على خلاف الكودية فليس بمقدورها الاتصال مباشرة بالجن والأسياد.

٢- الصنجق sanjaq: وهو القائم بالاحتفالات في الزار السوداني. ومثله مثل العروسة (الأوديا odiya) والصنجق لا يمكنه التواصل مع الأرواح.

٣- الدقاقين daqqaqin في الزار المصري: وهن لا يشاركن الرجال، وتتمثل مهمتهم في قرع الآلات الإيقاعية بالعصي الحديد، تلك الإيقاعات يجب أن تتسم بالقوة حتى تكون ذات تأثير قوي وفعال على المريض. وكنت شاهدًا عيان حيث رأيت بأم عيني كيف مزق الجلد المفترش والمفرود فوق الموائد من جراء تلك الإيقاعات القوية.

٤- الساتري satri: وهو لاعب (عازف) منجورا mangoura والمنجورا هي آلة موسيقية عبارة عن حوافر بعض الماعز معلقة فوق الجلد حيث يتم تثبيتها على حزام من الجلد السميك. وهذا الشخص يقوم بوضع هذا الحزام حول خاصرته ويبدأ في تغيير الإيقاعات وفقًا لحركة الخاصرة حيث يصدر منها صوت يشبه الصلصلة بالأجراس.

٥- رجل الطنبورة tambura man وهو عازف آلة الطنبورة الوترية.

الزار وطبيب الأمراض

ووفقًا لما ذكرته السيدة أم سامح umm samih يوجد زار للأمراض، وكذلك يوجد طبيب لها، فإذا توفر لأحد الأمراض طبيبًا يصبح الزار بلا جدوى في علاجه والعكس صحيح، فعندما يعجز الطبيب عن علاج أحد الأمراض يصبح الزار الملاذ الوحيد لذلك، وتشمل أمراض الزار: الأمراض العصبية، والأمراض النفسية، وعدم

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الإنجاب، والصداع، وأمراض العمود الفقري، والحد عن الحركة ....إلخ. كما يقام الزار أيضًا للفتاه الشابة التي لم تتزوج، وأيضًا للنساء متكرري الإجهاض أو عندما تلد جنينًا ميتًا، أو أطفال مرضى.

لغة الزار

في مصر تتم طقوس الزار في المقام الأول باللهجة المصرية المحلية للسكان المحليين، ولكن بعض الترانيم والتراتيل التي تؤدي لبعض الأسياد كانت تتم بلغة أخري. وفي قاموس الفولكلور لعبد الحميد يونس نلاحظ ما يُعرف "بلغة الزار" والتي تعتبر لغة سرية غامضة لا يعلمها سوى جماعة الزار. والقائمون على الزار وهم معرفون جيدًا لدى هذا المؤلف نراهم يتجنبون التحدث بشأن هذا الموضوع ويرفضون أية محاولة لتفسير بعض العبارات الغامضة عن العربية.

حتى وعندما يتم الزار باللغة العربية وباللهجة المحلية فهناك بعض المصطلحات غير المعروفة لمثل هؤلاء الذين لم يألفوا مثل هذه الطقوس ومن ذلك:

أ- بيت الزار bet-az-zar وكلمة بيت bet (منزل . بالعربية). وكمصطلح في تقاليد الزار فإنه يشمل احتفال الزار بأكمله. كذلك فإن (بيت الزار تلت أدوار bet-az-zar-talat adwar) تعني أن بيت الزار يتألف من ثلاث طبقات وهو يختلف باختلاف أنواع الزار الثلاثة الموجودة.

ب-التحجيب ithajiab / ithaggab، وهو لفظ مشتق من كلمة حجاب hijab / higab، وهي في الزار مجموعة من التعاويذ والتمائم، وهي تُشير إلى "الحصول على حجاب، أو ارتداء أحد الأحجبة" وهذه الكلمة تعني في اللهجة المصرية أن المرأة بدأت في ارتداء الحجاب hejab فهو قاعدة مؤكدة عند النساء المسلمات.

ت- الحضرة hadra تعني منتظم (أسبوعي)، وهي نوع من الزار، وهذه الكلمة عادةً ما تعني في العربية "الحضور" ..... إلخ.

التمائم والتعاويذ

منذ زمن والتعاويذ والتمائم القديمة منتشرة ورائجة وذات أهمية كبيرة في العالم الشرقي، ففي مصر انتشرت التمائم والتعاويذ منذ فترة مصر القديمة وبقيت حتى يومنا الحاضر، وهناك تعاويذ مناسبة للزار؛ فأي شخص يعيش في مصر ليس لديه أدنى شك يُذكر من أن المصريين قلما يرتدون الحلي والمجوهرات من الفضة وذلك بالمقارنة مع تفضيلهم لمثيلاتها من الذهب. فبالنسبة لأي سيدة مصرية فالذهب لديها يعني استثمار لرؤوس الأموال، ولكن فيما يتعلق بتمائم الزار فهي تصنع من الفضة وهي بالمثل مقبولة ومستحسنة في تقاليد بعض الأشخاص الآخرون.

وفيما يلي بعض أشكال التمائم والتعاويذ فمنها: الأساور، والخلاخيل، والدلايات .... إلخ. وقد لاحظ الكاتب اسشيشنرل Aschienerl أن في مصر بعض التمائم المصنوعة يدويًا وغير مدموغة، وأنها ثمينة والتي "تفي بوظيفتها". كذلك فلقد كان الخرز الملون والمزخرف وقصاصات القماش أيضًا تستخدم كتمائم فقد كانت تستخدم بغية تزيين أدوات الزار مع فكرة أن تلك الأشياء الملونة تجتذب الأرواح وتستميلهم بعين الرضا تجاه البشر.

الاحتفال والتجلي (النشوة)

وهدف الزار هو وضع الشخص المريض في حالة من التجلي والنشوة، وإذا ما حدث ذلك فإن الأسياد سوف تدخل جسده مؤقتًا ويروي أحمد طه Ahmed taha (وعمره يبلغ حوالي ٥٥ عامًا، وهو لم يكن يعرف عمره الحقيقي) في أنه في الوقت الذي يتحدث فيه الشخص المريض بشكل غريب وبصوت غير مألوف، فالأسياد هي التي تتحدث من خلاله. ويعقب تلك النشوة أو هذا التجلي نوبه من الصراخ.

وإذا ما تردد شخص على الزار فإنه يلزم ويجبر "أن يصبح اسمه مدرج في جماعة الزار لعدة أمور منها أن يتردد كثيرًا على ما يُعرف باسم الكرامة karama وهي شعيرة وطقس أدنى مرتبة من الزار، وفيه يتم فقط تقديم الأطعمة والأشياء المختلفة للأسياد، ومنها أن يؤدي شعائر الزار فيؤدي شعائر الزار لنفسه وإلا ستغضب الأرواح منه. وفي ذلك الوقت تتم دعوة أقرب أقارب وأصدقاء الأسرة على أطباق الحلوى والجوز إضافة للأطباق المتنوعة. وفي المقابل فإن هؤلاء الزوار والذين يدعون بـ"الحبايب" habayib (أقرب الأصدقاء) أو الشهود suhud، والذين يحضرون زار المريض فإنهم محبوبون وأوفياء لهواها أو لهوائهم وميولهم المفاجئة.

وتبدأ طقوس الزار فيما يُعرف بالفاتحة fatiha حيث يؤكد بعض الباحثين تأثير تلك الفاتحة fatiha (سورة الفاتحة) في القرآن الكريم. وتنطق أم سميح الفاتحة التالية:

Sid Ibrahim ad-dasu'I, sid ' izz er-riggal, al-hidr war-riyyas wal-mursi abul-'abbas , yihdu d-duhhan wyidduki l-'afiyya wal-burhan ,biha '' gahid an-nabi ' ale s-salat wa afdal es-salam , bet ez-zar , bet mamma watba'u , u,rum nagdi watba'u , yusef watba'u , abu danfa watba'u al wazir watba'u , al-'arabi watba'u , as-sultan el-ahmar ,dir en-nasari , bet al-habas , as-sittat : sadeyya hanim , al-bahareyya , ana ' arit al fatiha bil-amana .

"سيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدي عز الرجال، والخضر، والريس، والمرسي أبو العباس، يخدوا دا الدخان، ويدوكي العافية والبرهان بها"، جاهد النبي، عليه الصلاة وأفضل السلام. بيت الزار، وبيت الامامة وأتبعها، وروم نجدي وأتباعه، ويوسف وأتباعه، وأبو دنفا وأتباعه، والوزير وأتباعه، والعربي وأتباعه، والسلطان الأحمر، ودير النصاري، والستات: السيدة هانم، والبحرية. أنا قريت الفاتحة بالأمانة".

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

والقصائد الغنائية التالية تقوم الكودية بغنائها إلى أحد الأسياد أو للعديد منهم، وذلك مع بقية أفراد فرقتها بصحبة الآلات الإيقاعية (وأحيانًا بصحبة آلة الطنبورة)، وهذه الأغاني تبتهل استرضاءً للأسياد، ومثال على ذلك تُغني السيدة أم سامح umm samih واحدة من قصائدها إلى العربي al'arabi قائلة:

Sallit fil haram 'ala l-bet
صليت في الحرم، على البيت.
Wsallu 'ala l-"arabi muhammed .
وصلوا، على العربي محمد.
Ya ' arabi ya zin , ya kahil al 'en .
ياعربي يازين، ياكحيل العين.
Wsallu 'ala l-"arabi muhammed .
وصلوا، على العربي محمد.
Ya nur in – nur , ya baheyya h-nur .
يا نور في النور، يا بهي النور .
Wsallu 'ala l-"arabi muhammed .
وصلوا، على العربي محمد.
da ' albi twalla ' biziyzet er-rasul .
دا قلبي اتولع، بزيارة الرسول.
Wsallu 'ala l-"arabi muhammed .
وصلوا، على العربي محمد.
Ya 'arabi ' uruban , halwa l-hialeyya .
يا عربي، العربان، يا حلوة يا حليلة.
Da zair nabina Muhammad elli yizayyin el-kufeyya .
دا زاير نبينا محمد اللي زاين الكوفية.
Ya 'arabi ' uruban , halwa l-hialeyya .
يا عربي، العربان، يا حلوة يا حليلة.
Ya seyih el –'abila ya ' arabi .
يا شيخ القبيلة، يا عربي.
Da zayir nabina l-arabi .
دا، زاير نبينا العربي.
Ya sidi , warudu ' aleyya .
يا سيدي، ورودوا عليا.
Ya seyih el –'abila ya ' arabi .
يا شيخ القبيلة، يا عربي.
Da zair nabina l-arabi .
دا، زاير نبينا العربي.
da ' awayidak sanaweyya ya 'arabi,
دا عوايدك السنوية يا عربي.
Ya seyih el –'abila ya ' arabi .
يا شيخ القبيلة، يا عربي.
Zayir nabina ya badawi .
زاير نبينا يا بدوي.

والقصيدة الثانية تبتهل إلى سلمي إحدى الأسياد الإناث وهي كالتالي:

a , ya salma , ya salima.
يا سلمي، يا سليمة.
ra'iyat el – ganam , ya saluma .
يا راعية الغنم، يا سلامة.
seyih el –'arab ya saluma .
شيخ العرب، يا سلامة.
ya zina ya 'arabiyya .
يا زينا، يا عربية.
seyihat el arab ya salima .
شيخة العرب، يا سليمة.
ya helwa sayilla ra haya .
يا حلوة شايله رحايا.
da liki hadaya ya salima .
دا ليكي هدية يا سليمة
ya helwa , wihalli kalami – su'alik ya salima .
يا حلوة دا محلي كلامي. سؤالك يا سليمة.
enti salima , danti salima .
أنتي سليمة، دا أنتي سليمة.
ya 'arabiya , danti bidaweyya .
يا عربية، دا أنتي بدوية.
labsa huzam , da mihalli huzami .
لابسة حزام، دا محلي حزامي.
salam ' aleki ya bidawyya .
سلام عليكي يا بدوية.
ya marhaban biki ya ' arabeyya .
يا مرحبا بيكي يا عربية.
ya marhaban biki enti l-bidaweyya .
يا مرحبا بيكي أنتي البدوية.
ya saluma , d –daya l-arabeyya .
يا سلامه، دا داية العربية.
ya marhaban biki enti ' bidawe'yya .
يا مرحبا بيكي إنتي البدوية.

وهنا يوجد نوع من التورية، فاسم سلمي salma هو اسم مشتق من نفس أصل سليمة salima والتي تدل على "صحة البنية"، لذلك فإن سليمة salima تعني رقيق وهي تصغير لاسم سلمى salma. وعلى الجانب الآخر فإنها تدل أيضًا على "صحة البنية". وهذه القصائد التالية فهي مكرسة لأكثر من سيد من الأسياد مثل:

da 'ala mamma .
دا على الإمامة.
samah ya amamma .
سامح يا إمامة.
wa 'alek ya rumi .
وأوقولك يا رومي.
dal – basa nagdi .
دا الباشا نجدي.

دورية إلكترونية. مُحكّمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

كذلك فإن توازن وتناغم إيقاع تلك الآلات الإيقاعية كان أكثر سرعة وتعجل، حيث كان العازفون يقتربون من الشخص والذي هو نفسه في حاله نوبه من الرقص، وهي في العادة حركات متناغمة متناسقة بسيطة، وكذلك فإن العازفين كانوا يقرعون تلك الآلات بعصي من الحديد وذلك في آذان ذلك المريض الراقص. ثم بعد ذلك ينفصم ذلك التناغم والتوازان، ويعزف كل عازف بإيقاعه الخاص والمختلف بطبعه عن الآخر، وبدقة في الوقت يجب أن يسقط المريض مغشيًا عليه وهذا ليس صعبًا للغاية على اعتبار ما ذكرناه آنفًا. وفي نفس الوقت يذبح طائر أو حيوان. وإذا كان ذلك الطائر صغير الحجم، فإنه يذبح فوق رأس المريض. أما إذا كان ضخم الحجم فإنه يذبح ويراق دمه، ومن ثَمَّ يغمر(يمرمغ) الشخص المريض في دمه.

وتذكر بياضة أحمد طالب biyada ahmed tilib (ويبلغ عمرها ثمانية وأربعين عامًا، وذلك في سنة ٢٠٠٥) أنه يجب ألا تغير الملابس الملطخة بالدماء وأن يظل الشخص المريض مرتديًا لها لعدة أيام تتراوح ما بين خمسة إلي سبعة أيام، وذلك كله وفقًا لأوامر الكودية ولا أحد يمكنه الدخول لها أو له (أي الشخص المريض)، سوى ممرضة واحدة والتي تقدم له الطعام في صمت. وبعد انتهاء أجل الزار فإنه بذلك يكون قد انتهي الأمر تمامًا، وعندئذ يتم الاحتفاظ بالملابس الملطخة بالدماء كأغراض ثمينة.

هذا ويحظر القيام بالزار واحتفالاته في شهر رمضان المبارك، ويذكر المغربي almagrabi أنه لا يقام الزار في ذلك الوقت وبالمثل في أثناء الأعياد والمواسم الدينية "فنحن نترك الأرواح بمفردها، ونجلس مع أنفسنا"، وإذا ما أصيبت الأسرة بأمر أو بمصيبة فإن الزار لا يقام في تلك الحالة".

والسؤال الذي يطل برأسه هنا في هذا المقام وخصوصًا فيما يتعلق بالزار وهو؛ هل يؤدي الزار ويتضمن أية نتائج جلية؟ ما يصدق القول عليه في الواقع أن الزار أحيانًا يُشعر الشخص المريض ببعض الراحة. ويذكر الباحث بيهمان behman في دراسته أن الزار فعال ومؤثر في حالتين:

أولهما:- إذا كان أحد الأمراض ذات طبيعة سيكولوجية نفسية، ومثال على ذلك يسرد الباحث قصة الفتاة التي انفصمت وفشلت خطبتها أكثر من مرة. هذا بدوره ما جعل الفتاة تعتقد في غضب الأسياد عليها مما قادها إلى حالة من الفتور. وفي حالة مشابهة فإن إجراءات الزار توضح امتلاكها علاجًا لحالة من الخلل العقلي الذي أصاب تلك الفتاة.

وثانيها:- إذا كان المرض عضويًا وتتمثل أعراضه في الألم، فإن حالة الإغماء التي تعقب الزار تؤدي لحالة من اللاوعي والفقدان الحسي وتخفيف الألم مؤقتًا، وأخيرًا والشيء بالشيء يذكر، فقد يؤدي الزار إلى حالة من التسكين الزائف للمرض مما يجعل المريض لا يستشير الطبيب في حالته في حين يتطور المرض بشكل سيئ.

خاتمة

وفي النهاية يمكن أن نعزو وجود الزار في مصر إلي سببين رئيسيين وهما:

(١) أن بعض طبقات السكان في مصر ظلت محتفظة ببعض معتقداتها الخرافية حتى يومنا الحاضر. فأحد الفقراء المصريين ويدعى حمدي hamdi اعتقد بوجود كنز مصري قديم مدفون في أساس منزله، بل والأدهى من ذلك أنه عقد عزمه ونيته في العثور عليه. وتجدر الملاحظة في هذا الشي؛ أنه قد يحدث في الواقع وقت حفر بعض أساسات المنازل أن يتم اكتشاف بعض الأغراض الذهبية الصغيرة. والتي يقوم المتحف بشرائها. ووفقًا لهذا المعتقد السائر قام ذلك الفقير المدعو حمدي hamdi بالحفر في أساس منزله وبذل جهد لابأس به ولكنه بلا جدوى، فلم يجد بحثه في شيء لذلك اعتقد بأن العفاريت afarit مثل الأرواح والشياطين فقد أخفت ذلك الكنز، ولهذا قام ذلك الفقير ببذل أربعة عشر ألفًا من الجنيهات المصرية في شكل كرامات وعطور وقرابين، ولذلك استهزئ به الجيران ودعوه بالساذج قائلين: بأن الجن لو رغبت أن تظهر الكنز له لأظهرته ولما جعلته ينفق المزيد من المال. وعلى النقيض من ذلك فإنهم يعتقدون أيضًا بوجود الكنز وفي وجود الجن وقدرتهم على الإنسان.

(٢) تميز النساء في المجتمع الإسلامي بوضع خاص، فالزار بالنسبة لهؤلاء أصبح من وسائل إدخال بعض التنافر في البناء الديني، ففي الزار يتم انتهاك حرية بعض الأوامر الدينية، فالنساء الذين يقام لهن الزار تتخلص مؤقتًا من عملها المنزلي، ويحدث في كثير بأن تطلب الأرواح بعض الحلي والمجوهرات، أو تقول بأنه لا يجب على المرأة ألا تقوم بأحد من واجباتها، ولهذا كان الزار مصدر جذب لهؤلاء النساء.

ناهيك عن حقيقة أن الزار وبالمثل الأفراح والأعياد والتي كانت بمثابة وسائل لاجتماع واحتفال النساء والتي لا يدانها ولا يعارضها في ذلك اعتقادات الرجال أيضًا. ومن الصعب القول عن ماهية الزار المصري في الحقيقة ؟ هل هو المعتقد الحقيقي أم الكاذب؟

وفي الحقيقة فالشخص الذي يدفع مبالغ ضخمة من المال نظير هذا الزار فإنه ربما يعتقد في قوة وقدرة هذه الأرواح على أرض الواقع، ولكن مسألة إذا ما كانت الكودية نفسها تدخل في اتصال مع الجن والأسياد من عدمه، ودخولها في حالة اتصال معهم يعتمد على مدى مصداقية الكودية وإخلاصها الشخصي وهذه المعلومات غير متاحة لنا كغرباء.

وعلي نحو كافي، فالحكم الشعبي على الزار منذ القرن التاسع عشر وحتى يومنا الحاضر هو ميراث الجهل والأمية التي حيرت الناس. وكانت قد انتشرت تلك الطقوس سريعًا في مصر لذلك قامت الحكومة بإعداد لجنة خاصة لدراسة هذه الطقوس وتوضيح أين يكمن خطر تلك الظاهرة. ونرى أيضًا إيما المصرية ayima

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

masriyya وحدها قامت بدعوة ممارسي الزار zar والقائمين عليه إلى صالونها الأدبي (وللعلم كان حفيد تلك السيدة مولع باحتفالات الزار ويحضرها دائمًا بصحبة حصانه في منطقة حدائق الأهرام hadayiq (elaharam.

هذا رأي رسمي. أما بياضة أحمد طالب biyada ahmed tilib تذكر بأن الزار جهل، وأن الكوديات ماهي إلا مجرد محتالات، ومع ذلك وحتى ولو قال الجميع في مجمله بأنهم يدينون الزار ويرفضونه، فإنهم يتخفون سرًا ويذهبون إلي الكودية كي تجد حلاً لمشاكلهم الشخصية.

مصادر ومراجع الدراسة

١- القرآن الكريم.

٢- عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، لبنان، ١٩٨٣.

٣- فاطمة المصري: الزار، القاهرة، ١٩٧٥.

4- F. Behman (1953), The Zar in Egypt. Unpublished, project for the Bachelor's degree, Cairo.

5- S. Weeks (1984), Silver Zar Amulets, «Cairo Today», February.

6- S. M. Kenyon (1999), The Case of the Butcher's Wife, Spirit Possession Modernity and Power in Africa.

7- P.W. Schienerl (1983), Amulets in Modern Egypt, «Ornament», 6, no 4.

8- Ādil al-'Ālīmī (1993), az-zār wa masrah at-tuqūs. al-Qāhira (in Arabic.(

9- N. Ejibadze (2008), Egyptian Arabic. Texts, Dictionary. Tbilisi (in Arabic).

10- N. Ejibadze (2010), Zaris rituali egvipteshi [The Zar ritual in Egypt], Tbilisi (in Georgian).

دورية إلكترونية. مُحكّمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449